الحضارة الغربية فی ساعتها الخامسة و العشرين

پدیدآورنده (ها) : عمادالدین خلیل

فلسفه و کلام :: نشریه الوعی الاسلامی :: السنة العاشرة، ذی الحجة ۱۳۹۴ - العدد ۱۲۰

صفحات : از ۶۵ تا ۶۹

آدرس ثابت : https://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/769011

تاریخ دانلود : ۱۴۰۲/۰۲/۱۳

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسـلامی (نور) جهت ارائـهٔ مجلات عرضه شـده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشـد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسـلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صـفحه قوانین و مقررات اسـتفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

عناوين مشابه

- الحضارة الغربية فى ساعتها الخامسة و العشرين - ٢
- الحضارة الغربية فى ساعتها الخامسة و العشرين
- الخطاب التاريخى للقائد الاسد فى الذكرى الخامسة و العشرين لثورة آذار
- الحضارة الغربية و أثرها فى حياتنا
- فى الذكرى الخامسة و العشرين لرحيل أحمد رامى إعادة إصدار (رباعيات الخيام)
- الإنسان العربى فى القرن الحادى و العشرين هم فى الحضارة الإنسانية أم منهم بها؟
- قراءة فى كتاب الإسلام و الحضارة الغربية
- الدين و العلم فى الحضارة الغربية نموذجان من مدرسة التحليل النفسى: فرويد و يونغ
- خطبة فلسفية نفسية: الشرق و الحضارة الغربية فى حفلة جمعية تهذيب الشبيبة ببيروت
- كتاب الشهر : تخليص الإبريز فى تلخيص باريز و موقفونا من الحضارة الغربية

www.noormags.ir

الحضارة الغربية في ساعتها الخامسة والعشرين

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

— ٣ —

للدكتور عماد الدين خليل

والحضارة المعاصرة — بعد هذا — لا تمتلك عناصر البقاء . انها فضلا عن ماديتها الطاغية وآليتها الرتيبة ، وقياسها التجريدى الميت ، وفضلا عن اتاحتها المجال لظهور ابشع واقسى طبقتين فى التاريخ : الرقيق التكنى والمواطنون سيطرتا على مقدرات الانسان وعرّضتا وجوده للاختناق ، وفضلا عن اتفاق الشرق والغرب على تشديد القبضة على خناق الانسان ، وتحطيم قيمه ومثله وسحق وجدانه ، وردم منابع عاطفته ووحيه وأحلامه فضلا عن هذا وذاك فهى حضارة التكاثر الذى يحيل الحياة الى جحيم ، وتفتيش لا نهائى عن الذهب : « سوف تنتزعون الجلود غدا بحثا عن الذهب تحتها ، ثم تنتزعون العضلات عن العظام بحثا عن الذهب — الذهب ! الذهب ! الذهب ! اننا اليوم فى البداية : انكم لا زلتم تبحثون فوق الجلد ، لكن الجلد سينتزع والتفتيش سيستمر — ص ٤٧٧ » .

www.noormags.ir

وهى حضارة القتل والتحطيم وتهديم بنيان الله : « ان سائق سيارتنا والجنود المسلحين بالعصى والمسلحين منهم بالرشاشات الذين ينتظرون بفارغ الصبر اللحظة المناسبة لقتلنا ، لا يسمعون هم أنفسهم شيئا ، ما من أحد منهم يسمع . مع ذلك انهم يتهدمون مثلنا وبالطريقة ذاتها التى نتهدم بها — هل تراهم وهم يتهدمون ؟ — ص ٤٠٥ » .

الحضارة التى ولغ فيها الانسان فى الدماء حتى غدا شيطانا مريدا : « له وجه انسان ولكنه ليس انسانا . انه آلة ، انه الشيطان ، انه يشبه الانسان بكليته باستثناء الروح .. لقد ولغ الآخرون جميعا فى الدم وهم الآن كالعفاريت . انهم ليسوا بشرا .. لم يبق بين كل هؤلاء رجل واحد يمكن أن يكون انسانا — ص ٤١٤ — ٤١٥ » .

وهى حضارة السجن الذى يقف فيه الانسان على حدود الحياة والموت تحيطه جدران صماء لا نهاية لها ، وتغيب عنه معالم السماء والأفق البعيد ، وحيث يضيع الانسان فلا يعرف له موضع قدم ولا يعرف له مصيرا ، ويلتبس عليه الفهم وتختفى معالم الاشياء ، لأن صلته بالسماء قد انقطعت وتلقيه عن الله قد أوقف ، وسدت عليه سبل الرؤية الى فوق . اسمعوا شكواه وانصتوا الى عذابه وهو فى الغربة : « اننى منذ عام اقف على حدود الحياة والموت . منذ عام وانا على أطراف الحياة والحلم . لقد خرجت من نطاق الزمان ومع ذلك لا زلت أعيش .. ان كل هذه الآلام منشؤها عدم معرفتى ، هل أنا سجين أم متمتع بحريتى ؟ اننى أرى نفسى سجينا ومع ذلك لا أتوصل الى تصديق أننى فى السجن . انى أرى أننى لست حرا طليقا ، ومع ذلك فان عقلى يحدثنى بأنه ليس هناك من موجب يستدعى ابتعادى عن الحرية .. ان العذاب الذى يحدثه عدم الفهم هذا أكثر ايلاما وشدة من العبودية . ان الرجال الذين سجنونى هنا لا يمقتوننى ولا يريدون معاقبتى ولا يطلبون موتى . انهم يريدون انقاذ العالم فقط !! مع ذلك فانهم يعذبوننى ويقتلوننى تدريجيا .. انهم يعذبون ويقتلون الانسانية كلها . اننى لست الوحيد الذى أتألم ، وانا أعرف ذلك . ان أولئك الذين يديرون العالم راحوا ينشئون مستشفيات هائلة لابراء جراح البشر . لكن مواليهم لا تقيم المشافى بل السجون .. ان كل شىء يموت كما لو كانت اللعنة قد حلت عليهم . ان تفكيرى لا يستوعب شيئا . ولهذا السبب أريد أن أموت .. ان قواى لم تعد تحتمل هذا العذاب — ص ٤٢٧ — ٤٢٨ » .

وهى الحضارة التى تعكس عذابها وتمزقها على التعبير الذاتى للانسان المعاصر : فى الرسم : يقدم لنا بيكاسو لوحة « تمثل امرأة شوهها الألم الشديد ، لدرجة لم يعد وجهها يحتفظ بشىء انسانى على قسماته .. لوحة تظهر الانسان الذى سحقه الألم وقطعه أشلاء كقطع آلة . ليس فى اللوحة الا العوامل الجوهرية : العينان والأنف والفم والأذنان . كانت كل قطعة من هذه القطع تعيش منفردة مستقلة لوحدها ، فقد تنافرت بينها بسبب الألم . لقد تنصل الجسد البشرى عن وحدته بسبب ذلك — ص ١٦٧ » .

فى النحت : « هناك نحات سويسرى اسمه البرتوجيا كوميتى حقق فى حقل النحت مبادىء عن الجمال المذكر والمؤنث — التى حققتها الحضارة فى الحياة العملية — بتبديد الدهن واللحم من الأجساد البشرية .. ان الجسم البشرى قد حول بهذا الشكل الى مقياس واحد ، فأخذ أشكالا محددة جافة لا تزيد على حجم سلك حديدى » وتستفز هذه السخرية المرة (جيورجيو) فيصرخ بسخرية أكثر مرارة : « اننى أعرف منذ الأزل أن حضارتكم كلها مبنية على

www.noormags.ir

مبادىء جمالية . وغدا عندما يصبح سطح الكرة الارضية معمورا ببشر من ذوى الأجساد المتحولة بحسب قوانين الجمال الجديدة ، وأعراف فن جياكوميتى وفنكم ، فان العالم سيشع ثناء وجمالا !! ــ ص ٣٩٣ » .

فى الرقص والموسيقى : « كانوا كلهم يرقصون على ايقاع الجاز والآلة .. كان يرى مجتمعا كاملا يتخبط متشنجا كتلك الأجســـــاد ، فأغمض عينيه وغطاهما بيديه وصرخ : لا أريد .. لا أريد ــ ص ٤٩٦ » .

وفى المسرح : « سوف يستمر التاريخ على عرض مشاهده دوريا .. وغدا ستعزف قطعة جديدة عامة عنوانها (المجموعة الميكانيكية) ــ باليه ــ وسيكون مشهدا لا رجال فيه ، سيعتلى المسرح رجال آليون وآلات ومواطنون بغير وجوه !! ــ ص ٥٠٣ » .

وفى الشعر والرؤيا والخيال : « اننى آسف اذ اتنبأ بأشـــــياء مفجعة كهذه . لكن مهمتى كشـــــاعر ترغمنى على ذلك . ينبغى أن أصرخ وأن أحمل الأصداء قولى حتى ولو كان قولا محجوجا ــ ص ٨٦ » .

فى الرسم والنحت والرقص والموسيقى ، وفى المسرح والشعر والرؤيا والخيال نجد هذا الانعكاس المحزن للحضارة المعاصرة وتمزقها . والذى لا يجد هذا العذاب ، وذلك التمزق فى كل لوحة أو قطعة منحوتة ، وفى كل رقصة أو لحن موسيقى ، وفى كل قصيدة ومسرحية ورواية ، فليس له عينان أو أذنان ، بل ليس له وجدان يتيح له رؤية عميقة لمأساة حضارة لا تعرف الله .

ومن ثم فهى حضارة التدهور والسقوط ، قالها (أزوالد اشينجلر) من قبل فى كتابه الشهير ، وها هو جيورجيو يعرض علينا رؤياه : « شـــاهدت قارة بكاملها ، بما عليها من رجال وقوانين ومعتقدات وآمال ، تموت سجينة فى المعسكرات ، حبيسة القوانين الآلية ، فى ظل مجتمع نكص حتى بلغ الوحشية البربرية .. الآن لست أريد متابعة النظر لأننى تعبت ، ولأن المشهد طال أكثر من المعتاد . اننى ــ اذا ظللت على المشاهدة ــ فسوف لن أرى الا الأنقاض . سأرى مدنا متهدمة ورجالا متهدمين ، وبلدانا وكنائس وآمالا كلهـــــا متهدم محطم ــ ص ٥١٠ » .

ــ ٤ ــ

هل ثمة من أمل ؟ الغربيون ــ دائما ــ عندما يصلون الى هذه النقطة يحلمون .. ينساح خيالهم الى البعيد وتمتد رؤاهم الى مستقبل يسعد فيـــه الانسان . كيف يتم ذلك ؟ وفى اى طريق ؟ وعلى اى مركب يجتاز بنا الظلمات ؟ انهم هم أنفسهم لا يعرفون ؟! وهذا أمر طبيعى لأى انسان لا يتلقى عن الله ، ولا يسلم نفسه لله ، ولا يختار طريق الله ، ولا يدع رسوله العظيم يقود المركب المتأرجح فى الظلمات .. كثيرون هم أصحاب الأحلام ، وكثيرون هم أولئك الذين رسموا لنا أحلامهم فى (يوتوبيات) وعوالم مثالية ، فلا هم عرفوا الطريق الى أحلامهم ، ولا تحققت تلك الأحلام .. من عهد أوغسطين ــ حيث فقدت المسيحية روحها وقطع الانسان صلته الحقيقية بالله ــ والى عهد كاتبنا الرومانى هذا ، عبر أحلام (سافونارولا) و (توماس مور) والاشتراكيين الطوبائيين و (نيتشه) و (اشينجلر) و (هكسلى) و (توينبى) وغيرهم كثير .. ودون الخلاص تتقطع أنفاس وتجف أقلام وتتهاوى آمال وأحلام .. ذلك أن المصدور

www.noormags.ir

لا يشفى المرضى والأعمى لا يهب النور والرؤيا للمتخبطين فى الظلمات ، والذى يرتكز على خياله فحسب كالاعرج الذى يريد ان يصل الى نهاية الشوط قبل أولئك الذين يركضون على قدمين . ان المرض لا يعطى الا الوباء ، والعمى لا يهب الا الضلال ، والظلمات لا تنبثق الا عن ظلمات اشد وأقسى .. ان هنالك طريقا واحدا ونداء واحدا ، ورؤية واحدة ، ونورا واحدا للخلاص .. الطريق الذى جاء الانبياء عليهم السلام ليمهدوه للبشرية ، وجاء الرسول عليه الصلاة والسلام ليضع معالمه الاخيرة . ذلك هو طريق التلقى عن الله والاسلام المطلق لألوهيته وحكمه .. هذا اذا كنا نريد خلاصا حقيقيا .. والا فستظل الأحلام تخدرنا عن الرؤية الحقيقية ، وتقعد بنا عن الجهد والتشمير للكفاح .

« ان انهيار المجتمع التكنى هذا سيعقبه اعتراف بالموهبات الانسانية والعقلية ، وسيشرق هذا النور العظيم من الشرق ولا شك ، من آسيا ، وسيكتسح الانسان الشرقى المجتمع التكنى ، وسيستعمل النور الكهربائى لانارة الشوارع والبيوت ، لكنه لن يصبح أبدا عبدا له ، ولن يقيم الهياكل كما هو الحال اليوم فى بربرية المجتمع التكنى الغربى . انه لن يضىء بنور (النيون) خطوط الفكر والقلب . ان انسان الشرق سيجعل من نفسه سيدا للآلات وللمجتمع التكنى ، مستعينا بعقله ، كما يستعين رئيس الفرقة الموسيقية بعبقريته المستمدة من الجرس الموسيقى . لكنك لن تصل الى تلك المرحلة ، لأننا سنمضى فى الزمن الذى يخشع فيه الانسان أمام الشمس الكهربائية كالبربرى المتوحش — ص ٨٨ » .

« ولسوف يشفق الله على البشر أخيرا — كما اشفق مرات من قبل — ثم يصبح العدد الضئيل من بنى الانسان الذين احتفظوا بانسانيتهم طائفيا فوق انقاض وحطام هذا التدمير الاجتماعى الجماعى ، كما حدث لنوح فى سفينته من قبل ، ولسوف تنقذ الانسانية بفضل هؤلاء كما انقذت مرات ومرات فى مجرى التاريخ . لكن الخلاص والسلام لن يهبطا الا على الانسان الذى ظل انسانا ، واقصد على الاشخاص بمفردهم (!!) ان النجاة هذه المرة لن تكون من نصيب الكتل والجماعات بل من نصيب الأفراد (!!) — ص ٥٥ ؟ »(١) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

والآن ونحن نقترب من نهاية رحلتنا عبر الساعة الخامسة والعشرين ، ساعة المجتمع الغربى ، نحس جميعا ان هناك سؤالا ملحا يبدو فى العيون : ان الحضارة المعاصرة تمثل قمة ما احرزته البشرية من تقدم تكنولوجى ، فهل تعنى مهاجمة هذه الحضارة رغبة سلبية فى التخلى عن هذه المكتسبات .. ؟ وهل ان الاسلام سيبدأ بناء حضارته من جديد .. ؟ ومن نقطة الصفر .. ؟

ان سؤالا كهذا لا مبرر له على الاطلاق :

أولا ، لأن هذه المكتسبات هى حصيلة تاريخ طويل من الكد والجهد المضنى اسهمت فيه كل الأمم والحضارات وهو ليس حكرا على المجتمع الغربى . هو الآن يبدو غريبا لأن الغرب هو الذى يمارس الحضارة والابداع ويقود البشرية فى العصر الحاضر .

ثانيا ، ان هذه المكتسبات التكنولوجية هى فى حد ذاتها حيادية الطابع ، اذ لا عقل لها ولا ارادة ولا روح ، لكى تتحكم فى مصير البشرية ، وانما الذى يعطيها هذا الطابع أو ذاك ، هو عقل الانسان وإرادته وامكاناته الروحية ، بمعنى

www.noormags.ir

آخر الفلسفة التى تصدر عنها الحضارة المريضة المعاصرة هى السبب الوحيد فى هذه الوجهة الهدامة التى تتجه اليها القوة الصناعية فى العالم .

ثالثا ، لأن الاسلام يجعل الحرص على التقدم واستغلال قوى الطبيعة ، واحتضان المكتسبات العلمية واجبا محتما على المسلمين : دولة وجماعة ومؤسسات وأفرادا ، ولكنه لن يسمح أبدا بأن يستعلى (شىء) فى الأرض — غير الله سبحانه — على الانسان الذى كرمه خالقه على كثير ممن خلق ، وحمله فى البر والبحر . ومن ثم تبدو مأساة الحضارة المعاصرة فى انها أخضعت الانسان للأشياء ، فأشعرته بالدونية ، واذلته ، وكان لا بد من العقاب* .

---

(١) يرفض الاسلام التفسير الفردى للخلاص ، الذى تطرحه بعض المبادىء والفلسفات والأديان وبخاصة المسيحية ، والذى يؤكد عليه جيوروجيو هنا (انظر على سبيل المثال ص ٨٩ ، ٤٣٣ — ٤٣٥) لانه يصدر — كرجل لاهوت — عن هذه النظرة ، وربما لانه مدفوع — كذلك — بردة الفعل ضد اللعنة الجماعية للحضارة المعاصرة فى الشرق والغرب ، ذلك ان الاسلام — باختصار — يرى ان الافراد لا يمكن أن يحيوا حياة انسانية سعيدة الا على ارضية جماعية يسودها التكافل ويحكمها الدستور . وبدون هذه الارضية لا يمكن للانسان الفرد ان يتحقق بالقيم والاهداف العليا ، لأن الارض التى يسير عليها ويتحرك فوقها ، بما عليها من ظلمات وطغيان واهداف قريبة ، لا بد وأن تجرفه بعيدا عن قيمه واهدافه ، وتمنعه من الخلاص .. وهذا هو احد جوانب رفض الاسلام للعلمانية التى تنادى بفصل الدين عن الحياة ، أو بمعنى آخر ابعاد القيم الدينية عن الارضية الجماعية ، وجعله يقتصر على نطاق الأفراد والمؤسسات الدينية ..

* أحب أن أنبه القارىء — هنا — الى أن رواية جيوروجيو هذه تحمل فى طياتها كثيرا من العطف على اليهود ، لأن أحداثها تدور فى الفترة التى يقال أن النازيين قد أذاقوا اليهود خلالها القتل والتنكيل والاضطهاد . وعطف الكاتب هذا على اليهود — رغم كونه مفكرا مسيحيا وضريح مساعد لاهوتية عليا — يبدو سافرا أحيانا وخفيا أحيانا أخرى بدعوى الدفاع عن (الانسان) والتنديد بالارهاب والظلم (انظر ص ٥١١ و ٥١٢ على سبيل المثال) ولا مجال هنا لمناقشة هذه الدعوى فلهذا الموضوع مكان آخر . ولكن يجب الاشارة الى نقطتين : أولاهما : أن اليهود لم يكونوا ليلاقوا هذا الاحتقار الجماعى من الامم والشعوب لو لم يبدأوا هم دائما بالعدوان بشتى أشكاله : الاجتماعى ، المالى ، الاخلاقى ، السياسى ، العسكرى « .. كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين : المائدة ٦٤ » . وكانت النتيجة ما أعلنه القرآن الكريم « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب : الاعراف ١٦٧ » .
وثانيهما : ان الحكمة — كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم — « ضالة المؤمن انى وجدها التقطها » ومن هنا فان اى مجهود بشرى يحوى الحكمة فى ثناياه فعلى المسلمين ان يبحثوا فيه ، حتى ولو كانت وسط ركام من الاسرائيليات ..

www.noormags.ir